اقتحم الزبير وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه واجابهم المسلمون من خارج لم يشك اهل
الحصن ان العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا فعمد الزبير واصحابه الي باب الحصن ففتحوه
واقتحم المسلمون الحصن فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سال عمرو
ابن العاصي الصلح ودعاه اليه على ان يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين
على كل رجل منهم فاجابه عمرو الي ذلك • قال الليث بن سعد وكان مكثهم
على باب القصر حتى فتحوه سبعة اشهر قال ابن عبد الحكم وحدثنا عثمن بن صالح
انا خالد بن نجيح عن يحيي بن ايوب وخالد بن حميد قالا حدثنا خالد بن يزيد
عن جماعة من التابعين بعضهم يزيد على بعض ان المسلمين لما حاصروا باب
اليون وكان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسايهم وعليهم المقوقس
فقاتلوهم بها شهرا فلما راي القوم الجد منهم على فتحه والحرص وراوا من صبرهم
على القتال ورغبتهم فيه خافوا ان يظهروا فتنحي المقوقس وجماعة من اكابر
القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا
بالجزيرة وامروا بقطع الجسر وذلك في جري النيل وتخلف الاعيرج في الحصن
بعد المقوقس فلما خاف فتح الحصن ركب هو واهل القوة والشرف وكانت سفنهم
ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فارسل المقوقس الي عمرو بن العاصي
انكم قد ولجتم في بلادنا والححتم على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانما انتم
عصبة يسيرة وقد اظلتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح
وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اساري في ايدينا فابعثوا الينا رجالا منكم
نسمع من كلامهم فلعله ان ياتي الامر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع
عنا وعنكم هذا القتال قبل ان يغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر
عليه ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعث الينا رجالا
من اصحابك نعاملهم على ما نرضي نحن وهم به من شي فلما اتت عمرو بن العاصي رسل
المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال اترون
انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم وانما اراد عمرو بذلك
ان يروا حال المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بيني وبينكم الا احدي
ثلاث خصال اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا وان ابيتم
فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال
حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين فلما جات رسل المقوقس اليه قال
كيف رايتموهم قالوا راينا قوما الموت احب الي احدهم من الحياة والتواضع احب
اليه من الرفعة ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة انما جلوسهم على التراب
واكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد

فيهم من

فيهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون اطرافهم
بالماء ويتخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذي يحلف به لو ان هولا
استقبلوا الجبال لازالوها وما يقوي على قتال هولا احد ولئن لم نغتنم صلحهم
اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض
وقووا على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ابعثوا الينا رسلا منكم
نعاملهم ونتداعا نحن وهم الي ما عساه ان يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو
ابن العاصي عشرة نفر احدهم عبادة بن الصامت وهو احد من ادرك الاسلام
من العرب وطوله عشرة اشبار وامره عمرو ان يكون متكلم القوم وان لا يجيبهم
الي شي دعوه اليه الا احدي هذه الثلاث خصال فان امير المومنين قد تقدم
الي في ذلك وامرني ان لا اقبل شيا سوي خصلة من هذه الثلاث خصال
وكان عبادة بن الصامت اسود فلما ركبوا السفن الي المقوقس ودخلوا عليه
تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده فقال نحوا عني هذا الاسود وقدموا
غيره يكلمني فقالوا ان هذا الاسود افضلنا رايا وعلما وهو سيدنا وخيرنا
والمقدم علينا وانما نرجع جميعا الي قوله ورايه وقد امره الامير دوننا بما امره
به فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك
وان اشتد كلامك علي ازددت لذلك هيبة فتقدم اليه عبادة فقال قد سمعت
مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابي الف رجل اسود كلهم اشد سوادا مني
وافظع منظرا ولو رايتهم لكنت اهيب لهم منك لي وانا قد وليت وادبر شبابي
واني مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعا وكذلك
اصحابي وذلك انما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا
عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلبا للاستكثار منها الا ان الله قد احل
ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالي احدنا اكان له قنطار من ذهب
ام كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة ياكلها يسد بها جوعته
وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب
انفقه في طاعة الله واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ورخاها ليس برخا انما
النعيم والرخا في الاخرة وبذلك امرنا ربنا وامرنا به نبينا وعهد الينا ان لا
تكون همة احدنا من الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته
وشغله في رضي ربه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله
هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندي
من منظره ان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض وما اظن ملكهم الا سيغلب
على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة فقال ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)